AL-MA'RIFAH
Jurnal Budaya, Bahasa, dan Sastra Arab
(Journal of Arabic Culture, Language, and Literature)

Vol. 15, No. 2, October 2018, 202–218
P-ISSN: 1693-5764
E-ISSN: 2597-8551

اللغة العربية ومتطلبات تدريسها الاجتماعية والثقافية: قراءة تحليلية للغة في السياق المعرفي لسوسيولوجية اللغة والتعليم

Malika Araour*
University of Biskra, Algeria

The Arabic Language and its Social and Cultural Teaching Requirements: An Analytical Reading to Language in the Cognitive Context of Sociology of Language and Education

E-Mail Address
malika.araour@univ-biskra.dz
***Corresponding Author**

Abstract
The problem of this study revolves around the most important tool in building human knowledge and the most important means of understanding and friction among the members of the society to practice life or knowledge in all fields of social life and to meet their needs and determine how to satisfy them. The question of this study is based: how to link Arabic language education to its social and cultural dimensions? The importance of the topic lies in uncovering the profound historical and social links of the language to achieve an integrated dynamic of social and cultural structure that will add to the teaching of the Arabic language associated with the teaching of Arabic culture. This research was based on a descriptive approach. The study reached the following results: the need to learn the Arabic language interspersed with the culture of society, and linking the linguistic studies of the Arabic language to social anthropology studies.

Keywords
Arabic language teaching; sociology of language; culture of society

المقدمة

لقد تطورت العلوم في العقد الأخير بشكل كبير جداً، وزاد ترابط بعضها ببعض، وكُشف عن التساند الوظيفي العميق بينها، مما جعل الكثير منها يعتمد على البقية العلوم في فهم ظاهراته وتفسيرها لها بطريقة علمية متكاملة قريبة من التفسير السليم ، من هذا المنطلق فقد تعرضت السوسيولوجية باعتبارها علم يدرس المجتمع ومكوناته لفهم ظاهرة اللغة وسعت لتفسيرها باعتبارها ظاهرة اجتماعية أوجدها المجتمع وطورها، حيث عرفها جمهور علماء الاجتماع بأنها نسق من الإشارات والرموز، تشكل أداة من أدوات المعرفة، ما تعتبر اللغة أهم وسائل التفاهم والاحتكاك بين أفراد المجتمع في جميع ميادين الحياة الاجتماعية، حيث من خلالها الناس حاجات بعضهم البعض وكيفيات إشباعها وبالتالي العيش في سلام ،

Available online at
http://journal.unj.ac.id/unj/index.php/jba/index
DOI: https://doi.org/10.21009/almakrifah.15.02.02

Copyright © 2018 The author
This article is distributed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License

كذلك تتشكل العلاقات الاجتماعية وتستمر وتدوم في الحياة الاجتماعية وتحقق الغرض من وجودها، كذلك بها يتم التخاطب بين أفراد المجتمع وفهم طرق التعاون كونها ترتبط بالتفكير ارتباطًا وثيقًا في الحصول على الأفكار المتعلقة بالوجود الاجتماعي الواقعي، وكل خصوصيته الاجتماعية والحضارية التي تكونت عبر عصور تاريخية متوالية أحدثت في المقابل تراكمات اصطلاحية ومفاهيمية وبنى تصورية، وعليه فإن اللغة عموماً عبارة فعل اجتماعي حضري، بمعنى أن تكون نتيجة نشاط تفاعلي إنساني طويل خلال حقب تاريخية، مما سبق، يمكن الجزم بأن اللغة العربية مرتبطة حضريا بالثقافة العربية كما هي مرتبطة واجتماعياً بالمجتمع بناءً ووظيفةً، حيث تذوب كل واحدة منهما في ثنايا الأخرى وتتخلل وجودها وتعززها وتنميها، وتمكنها من مواكبة التغيرات الحاصلة في الحياة في مختلف مجالاتها، ومن ثم فإن فهم اللغة العربية فهماً حقيقياً يجب أن يكون فهمها في سياقها الاجتماعي الثقافي التاريخي للمجتمع العربي.

وبناءً عليه، فإنه وفق المدخل السوسيولوجي للغة وسوسيولوجية التعليم التصوري، يجب تدارس اللغة العربية في سياق المجتمع العربي وبناءه الثقافية الاجتماعي التاريخي، بمعنى نقل المعارف العلمية حول اللغة العربية يتوجب نقل التراث الحضاري في مضامين تلك الكلمات المصطلحات والمفاهيم والتصورات، بمعنى تدريس اللغة يكون مواكب لتدريس الحضارة والثقافة العربية وطبيعة المجتمع العربي ومراحل التطورية التي مرً بها، والتراكمات التي حصلت في اللغة العربية.

تكمن أهمية هذا البحث في الكثير من المستويات المعرفية التي ترتبط فيما بينها محورها الأساسي هو اللغة باعتبارها القضية الأساسية في هذا البحث، وتتمثل تلك المستويات المعرفية في اللغة كأدب له أصوله اللغوية، الأنثروبولوجية اللغوية كفكر يبحث في أصول اللغة كمعطى ثقافي وتقاطعاتها مع غيرها، وأخيراً سوسيولوجية اللغة كعلم يربط اللغة بالبناء الاجتماعي اعتبار وسيلة لبلورة التفاعل، من هذا الترابط تنبثق أهمية هذا البحث، التي تتجلى في الكشف عن الروابط الروحية التاريخية العميق في المجتمع المنتج لهذه الوسيلة والمطورة لها لأجل تحقيق بناء اجتماعي متكامل العناصر؛ من ناحية ومن ناحية ثانية؛ يحافظ على سلامة تلك العناصر كل على حدا سلامة تفاعلية بنائية، مما يجعل للغة قوة تتغلغل في المجتمع منذ وجوده وتتطور به ومن خلاله، وعليه فإن المستوى الثاني لأهمية يكمن في الكشف على ضرورة تدريس الحضارة والثقافة العربية مواكبة لتعليم الأصول اللغوية لها.

منذ أن وجد التجمع البشري، يستخدم الإنسان جملة الرموز والإشارات والأصوات بهدف التواصل مع غيره من البشر، والتعبير عن مشاعره، واكتساب المعرفة، وبالتالي تعدّ اللغة إحدى وسائل التفاهم بين الناس داخل المجتمع، ولكل مجتمع لغة خاصّة به، وتعرف اللغة اصطلاحاً بأنّها عبارة عن رموز صوتيّة وإشارات لها نظم متوافقة في التراكيب، والألفاظ، والأصوات، ذات دلالات ثقافية اجتماعية معينة، تُستخدم عادة لأجل الاتصال بين الأفراد والتواصل الاجتماعيّ، ليس هذا فقط أيضاهي أداة من أدوات البناء المعرفة للتعبير عن الظاهرات وانتشارها وتفسيرها في كل مجالات العلوم المعاصرة، ومن ثم فإن للغة القدرة على فهم الحياة الاجتماعية رغم تعقدها وتشابكها من خلال توصيف كل مكوناتها بمصطلح

معين، وبالتالي فإن اللغة عبارة عن ظاهرة اجتماعية ثقافية، مما يعني فهمها وتدارسها وتشرب مضامينها يكون في سياقها الثقافي والاجتماعي التاريخي.

إن تدارس اللغة العربية من طرف غير الناطقين باللغة العربية أو حتى من طرف الناطقين بها يجب أن يكون مصاحب لتعليم الحضارة والثقافة العربية وجذورها التاريخية والمراحل تكونها وربط البلاغة العربية بكل العهود التي مر بها المجتمع والتطورات التي كسبتها اللغة العربية في سياقها الاجتماعي، حيث أن انتقال المجتمع العربي ثقافة وبالتالي لغة من العهد الجاهلي إلى الإسلامي اكسب اللغة العربية الكثير من المصطلحات التي كشفت عن كثير من المعاني التي تختلف في مضمونها المادي من المعنوي، الشكلي من الظاهري، العميق من الأقل عمقاً وهكذا .... الخ، وبالتالي فإن تعليم اللغة العربية لا يتعلق الأمر بالحنو والصرف فقط بل حتى معاني الكلمات وارتباطاتها الثقافية الحضارية أي مضامين الكلمات والمفاهيم والتصورات التي تحمل في ثناياها دلالات ثقافية اجتماعية، بمعنى تدريس الحضارة العربية وطبيعة المجتمع العربي والحضارات التي توالت عليه، وبالتالي فقد جاء هذا البحث قي سياق سوسيولوجية اللغة للإجابة على التساؤل الآتي: كيف يمكن ربط اللغة العربية ببعديها الاجتماعي والثقافي أثناء تعليمها؟

ترمي هذه الدراسة السوسيولوجية في السياق اللغوي والتعليمي معا والعنونة بـ "اللغة العربية ومتطلبات تدريسها الاجتماعية والثقافية" من خلال اعتماد طريقة منهجية وصفية تحليلية إلى تحقيق عدة أهداف أهمها مايلي: (١) توضيح عميق الثقافي الاجتماعي للغة العربية، وكيف أن اللغة تتكون من رموز وإشارات استقاها الفرد من بيئة المجتمع العربي؛ (٢) دور سوسيولوجية اللغة في وضع اللغة في إطار البناء الاجتماعي، المكون من الفاعلين وخصوصيتهم الفطرية والنفسية، المواقف التفاعلية، العلاقات اجتماعية التي تعد ثمرة التفاعل، وأخيراً النظم الاجتماعي؛ (٣) دور أنثروبولوجية اللغة في وضع اللغة في إطار البناء الثقافي، المكون من عدد الرموز والإشارات واختلافاتها عن بعضها البعض وكيفية استخدام تلك الإشارات والرموز في مختلف المواقف التفاعلية الاجتماعية؛ (٤) إلقاء الضوء على أهم المحددات الاجتماعية التي يجب التركيز عليها لأجل تلقين اللغة العربية لغير الناطقين بالعربية، باعتبار اللغة عموماً والعربية خصوصاً وسيلة للتواصل والاتصال الاجتماعي، والي تمكن الفاعلين ليس من البحث الأكاديمي فقط ل حتى للعيش في بلاد العرب بسلاسة ويسر.

منهج البحث

استخدم هذا البحث مجموعة من العمليات البحثية المتمثلة في وصف الظاهرة وصفاً داخلياً وخارجياً، إضافة إلى تحليلها واستنباط الأبعاد والمؤشرات الثقافية والاجتماعية التي تجعل الربط بين اللغة والبنية الثقافية من جهة وبين اللغة والبنية الاجتماعية من ناحية ثانية، ومن هنا فإن هذه الدراسة السوسيولوجية اعتمدت على المنهج الوصفي الاستقرائي.

نتائج البحث والمناقشة

أ. تعريف السوسيولوجي للغة

على مستوى العلوم الاجتماعية يتطلب تحديد المفهوم اللجوء إلى مناقشة معرفية إبستيمولوجية لمفهوم اللغة من عدة منظورات؛ حيث أن إعطاء تعريف لمفهوم معين يكون من ثنايا خصائصه المشتركة، مما يعطينا من الناحية النظرية إطارا منهجيا ومعرفيا لرصد حدود الظاهرة و معالجتها، إلا إننا في الواقع نصطدم بتعدد و اختلاف التعاريف، هذا الاختلاف والتمايز راجع إلى اختلاف المفكرين ومرجعتيهم الفكرية حول المفهوم الواحدة، كما هو الحال بالنسبة لمفهوم اللغة الأمر الذي يعكس مدى تعقيد المصطلح، ولعل سبب الاختلاف والتمايز بين تعريف وأخر يعود إلى ديناميكية المفهوم في حد ذاته وتراكميته التي مرت بها اللغة كظاهرة قابلة للتغير والتبدل نتيجة تأثير مؤشرات خاصة بها أو المجتمع الذي يتم تداولها فيه أو بتأثير عوامل لغوية أو غيرها لمجتمعات غريبة عنها.

إن تنوع المقاربات التعريفية لهذا المفهوم يؤدي إلى الكشف عما هو متقارب ومتباين، وما هو قديم وحديث حول اللغة من تأطير نظري، وبالتالي فإنه فيما يلي رصد لأهم التعاريف المقدمة لمفهوم اللغة، أولاً يعد لفظ لغة مشتق من لغا، يلغو، لغوا أي قال باطلا، وألغي بمعنى الصوت له معنى ما يصدره الفرد لأجل غاية معينة، أما ابن منظور فيقول اللغة هي فعلت، من لغوت أي تكلمت وأصلها هو لغوة (Ibn Manẓūr, 2005, p. 237–239). ومن هذا المنطلق، فقد فرق العرب بين مدلولي اللغة باعتبار هذه الأخيرة كل كلام يحمل معنى ايجابي ومفيد لأجل المشاركة والتفاهم أو رد الأذى وحماية النفس والممتلكات، وبين اللغو الذي يقصد منه الكلام المهمل الذي لا فائدة منه (al-Ṭā'ī, 2009, pp. 196–220). وهنا يتجلى قوة وعمق اللغة وتشعبها وتعقدها مما يتطلب على متعليميها ومعلميها الاطلاع العميق والتركيز على تشعباها.

أما من ناحية الاصطلاحية فقد عرفت اللغة على أنها "الأصوات التي يعبر بها كل قوم عن أغراضهم الحياتية" ، بمعنى أن الفرد في حياته اليومية يتفاعل مع غيره، حيث يقصد من وراء تلك الأصوات معاني تعبر عن رغبته أو إرادته في أمر ما، وبالتالي فإن ذاك التعريف يحمل في مضمونه جانبين أساسيين في اللغة أولهما الجانب الاجتماعي المرتبط باللغة المتداولة بين أفراد المجتمع الواحد وأساليب التفاعل الاجتماعي فيما بينهم والتخاطب وتبادل الحاجات (Lafont, 2004). أما الجانب الثاني فهو المرتبطة بصلة اللغة بالتفكير وعملياته الذهنية المستخدمة في البناء المعرفي لكل فرد في المجتمع، وفي تعريف سوسيولوجي ثاني يرى اللغة بأنها هي ظاهرة اجتماعية كونها نظام من الإشارات والرموز التي يستخدمها الإنسان للتعبير عن مجمل أفكاره التي عادة ما تكون مرتبطة بالبيئة الاجتماعية التي يعيش فيها ويتغذى فكره عليها، للتفاعل مع الأخر وتكوين مجال أو حلقة تفاهم، وعليه فاللغة وفق المدخل السوسيولوجي مرتبط بالمجتمع وعناصره البنائية، وبالتالي فإن اللغة نشأت من خلال ما تعارف عليه أفراد المجتمع من موجودات في البيئة الاجتماعية (Van Gennep, 1908). وبناءً عليه فإن اللغة لها قوة كبيرة في وضع

المجتمع حالة من الاستقرار والتوازن وربط ماضي المجتمع وتاريخه بمستقبله من خلال نقلها من جيل لأخر بالتعليم خاصة، بينما الكلام فهو يرتبط بالأفراد والحديث الكلامي أو اللفظي أثناء التخاطب اليومي في الحياة الاجتماعية، ومن ثم الدخول في سيرورة تفاعلية تنشأ فيها العلاقات الاجتماعية وتترتب في نسقها العلائقي حسب كل مجتمع، حيث نجد في المجتمع العربي يولي أهمية كبيرة للعلاقات الأسرية في مقابل العلاقات الاجتماعية الأخرى والعلاقة الوالدية تعد أولى الأولويات من خلال القيم والعادات والتقاليد التي يعبر عنها المجتمع باستعمال اللغة (Bourdieu, 2001).

وفي تعريف ثالث ذا مدخل أنثروبولوجي يصور اللغة بأنها نظام اجتماعي وموروث مشترك، تستعمل لأجل التواصل الإنساني، حيث أن هذا الأخير هو من يحدد وظيفتها الإدراكية في التمييز بين المعاني والتعبير عنها في خضم التواصل الإنساني والتفاعل الاجتماعي داخل العديد من الأنساق الفرعية للنظام الاجتماعي العام، وذلك من خلال السياقات اللفظية والرمزية التي تحدث بين مختلف أفراد المجتمع لإشباع الحاجات الخاصة والمجتمعية معاً، والشيء المهم في هذا التعريف أنه يعتبر اللغة منظومة مستقرة نسبياً تتخللها شبكة من العلاقات النمطية الفكرية يتشكل على إثرها روابط قوية بين مكونات المجتمع البشرية والمعنوية ودلالاته الذهنية، الفكرية، الثقافية، وغيرها من مجالات الحياة الاجتماعية، ومن هنا فإن أهم خاصية من خصائص النظام الاجتماعي أنه معقد ، متشابك العناصر والمكونات (Bally, 1977). وبالتالي فإن بقاء اللغة كنظام ومكوناتها معاً في مواجهة التغيرات الاجتماعية والفكرية الدائمة الحدوث متوقف بدرجة كبيرة جداً على الاعتماد المتبادل بين مكونات اللغة من مفاهيم وتصورات والمجتمع ومكوناته من أفراد وجماعات وعلاقات وقيم ثقافية واجتماعية تمد المنتجات الاجتماعية بالخصوصية والتميز، هذا إضافة إلى ميزة السيطرة النظام، أي أن النظام اللغوي للمجتمع يفرض نفسه بقوة على المجتمع ومكوناته يحافظ المجتمع على خصوصيته اللغة واحدة منها وهذه الأخيرة تستجيب لحاجات المجتمع وتغيراته (Gurvitch, 1966).

ومن هنا، تصبح اللغة ذات قدرة تنافسية مستمدة من البنى الاجتماعية والثقافية وعمقها التاريخي السحيق في مواجهة إحلال لغات أخرى دخيلة، حيث تمكنها تلك القدرة من التغير ومجاراة قوة الظروف المحيطة. ومن هنا تصبح للغة القدرة على الاستمرار نتيجة استجاباتها للتغيرات الاجتماعية والمعرفية الحاصلة كل مجالات الحياة الاجتماعية، ثقافية، سياسية، اقتصادية. هذا يعني أن اللغة منظومة مستقرة ديناميكية متجددة ومتغيرة بتغير المجتمع ذاته (Bally, 1977). وعليه فإن علماء السوسيولوجية اللغة والأنثروبولوجية اللغوية أمثال تشومسكي وأندري جاكوب ؛ اعتبروا اللغة نظام يتواصل به الأفراد داخل المجتمع، وفقا لاتفاق عرفي اصطلاحي يسهل من عملية الاتصال و التواصل بين أفراد المجتمع الواحد ، وبالتالي تعد اللغة ملمح حضاري ثقافي، يتغير كل طرف باستجابة للتغيرات التي تحصل على الطرف الثاني (al-Ṭāʾī, 2009, pp. 199).

تعد الحضارة أو الثقافة العربية نظام اجتماعي يعين الفرد العربي على الزيادة من إنتاجه المعرفي الثقافي وينمي رصيده اللغوي، الذي يمكن الفرد من تقديم لعناصر الحضارة الأربعة (الموارد الاقتصادية، النظم السياسية، والتقاليد الخُلقية، والعلوم والفنون)، وهي عناصر متفاعلة فيما بينها متداخلة فيما بينها لا يمكن فصلها عن بعض وأن أي تغير يحدث في أحداها يبلغ الثانية. وبالتالي فإن اللغة تتحرر دوافع الفرد للتطلع على عوامل الإبداع والإنشاء الفني في كل أشكاله وأنماطه، وكسب طرائق معينة على فهم الحياة الاجتماعية وازدهارها، ومن ثم رقي الحضارة والثقافة والازدهار في جميع المجالات الحياة الاجتماعية المعقدة والمركبة (Ṭarbīh, 2011, p. 89). وبالتالي فإن اللغة كونها رمز حضاري ثقافي تجمع بين البحث العلمي للظاهرات العلمية في علوم المادة أو الإنسان والاجتماع، أو الجانب الفني التشكيلي فهو يتمثل في الفنون المعمارية والمنحوتات وبعض الفنون، وبالتالي فإن كل من الفن والعلم هما عنصران متكاملان في الحضارة الثقافة واللغة، وعليه فإن كل منهما يقود يكمل تركيب هذين الأخيرين، ومن ثم فإن اللغة عموماً واللغة العربية على الخصوص كلمة مشتقة من الفعل اجتماعي يتجاوز صنع الفرد (Mu'ādh, 2011, p. 67). وفي المقابل الحضارة هي التشييد والبناء المادي للحياة الحضرية التي تجمع بين الكثير من السلبيات والايجابيات الذي يعكس أساليب معيشية ذات وسائل المعيشة التي تفرض على الفرد نمط من الفنون والتقاليد والميراث الثقافي والتاريخي ومعدل التقدم العلمي والتقني (Bourdieu, 2001). ومن ثم فإن الحضارة أو الثقافة تعني كل ما يميز مجتمع عن أخر من حيث العادات والتقاليد وأسلوب المعيشة والملابس والتمسك بالقيم الدينية والأخلاقية ومقدرة الإنسان في كل حضارة على الإبداع في الفنون والآداب والعلوم وهنا تتجلى اللغة في التعريف بالإبداعات، والفنون والآداب وتحقيق العلوم أهدافها في دراسة الظاهرات في شتى العلوم، وبالتالي إذا قصرت هذه الأخيرة تجلى القصور في اللغة والعكس صحيح.

وفي الأخير، فإن اللغة الغربية كبقية اللغات الإنسانية هي وسيلة الاتصال الوحيدة لأفراد المجتمع العربي وجماعاته، لديها – اللغة - القدرة على التعامل مع مطالب المجتمع الحاضرة المستقبلية، وعليه فإن اللغة تساهم بشكل كبر وعميق في تشكيل عملية تحديد عناصر الهوية الجماعية لمن يتحدث بها لأنه ينهل من رصيدها المفهمي والاصطلاحي ويتشرب من رموزها الثقافية، ودلالاتها التصورية، أهم المقومات التي تحدد هوية المجتمعات الإنسانية (Nāṣif, 1995, p. 7).

ب. عناصر اللغة العربية

من هذا المنطلق أن اللغة هي نظام اجتماعي له مجموعة من العناصر الأساسية رغم اختلاف التعريفات وطبيعة توصيف تلك العناصر، إلا أن تلك التعاريف تتفق حول وجود ثلاث عناصر أساسية هي اللغة كظاهرة اجتماعية، الطبيعة الصوتية للغة، وأخيراً الوظيفة التعبيرية للغة، والتي تقابلها الأصوات، المفردات والتراكيب في السياق اللغوي (al-Ṭā'ī, 2009, p. 199)، غير أن التفاعل بينها يضمن استقرار وديناميكيته للغة ومن ثم للحياة الاجتماعية، وتتمثل في ثلاث عناصر الأصوات، المفردات والتراكيب،

حيث أنها عناصر إذا تأمل فيها الباحث السوسيولوجي، كما فعل تشومسكي (1990). سيجد أنها عناصر بقدر ما هي لغوية ظاهريا هي اجتماعية الثقافية في دلالاتها العميقة، وسيتضح ذلك فيما يلي لما يتم الكشف النقاب عن قوة استخدامات اللغة من خلال عناصرها الثلاث.

١. الأصوات

اعتبرها علماء الاجتماع الاتصال بأن الأصوات مجموعة من الحروف والحركات (Chomsky, 1990, pp. 101–108)، التي تقدر في اللغة عموماً واللغة العربية على الخصوص ثمانية وعشرون حرفاً، التي تتشكل منها الكلمات التي تصاغ الجمل للتعبير عن الأفكار،حيث كشف علم الأصوات أن حروف عموماً واللغة العربية على الخصوص وهي حروف تتوزع على مخارج الحروف الصوتية وهي الحلقية، اللسانية، الشفهية، الأنفية، وأخيراً الجوفية أو الباطنية، حيث أن هذا التوزيع يتماشي مع النمو الإدراكي الحسي الحركي للفرد منذ نعومة أظافره، وبالتالي فإن اللغة وسيلة تواصل بين الكائنات الحية والواعية تنمو بنموه ونمو قدراته على التواصل مع غيره من الأفراد في جماعته الاجتماعية (Quṭāmī & al-Rifāʻī, 2001, p. 62). ومن ثم تطور قدرات الفرد على التفكير والإدراك في فهم ما يدور حوله في البيئة الاجتماعية التي يعيش فيها من الحركة ونشاط، وعليه فإن الطبيعة الصوتية للغة العربية تعكس دلالات الصوتية ذات المعاني المستفادة من نطق الألفاظ (Shatā, 1998, p. 48).

٢. المفردات

هي تلك الكلمات والمعاني التي يكسبها الفرد جراء وجوده في واقع حياة اجتماعية معينة أو التي أطلقها المجتمع على مكونات الواقع الذي يعيش فيه الفرد سواء كان مكونات مادية أو معنوية (Giddens, 2005, pp. 91–105). ويستعملها الفرد في الغالب في حياته للتعبير عن حاجاته المتنوعة والكثيرة ورغباته المتعلقة بذاته ككائن بشري وإنساني واجتماعي له علاقات اجتماعية مع غيره تعبيراً يتميز بالبراعة اللفظية والإشاراتية والرمزية (Pierre, 1993, pp. 66–69)، بمعنى محدداً كيف؟ ومتى؟ ومع من؟، حيث أن تلك الحاجات تتغير وتتعقد بتغير المراحل الإنمائية التي يمر بها الفرد نمواً بدنياً ونفسياً وتطوره الذهني والفكري المواكب لها بمرور الزمن، والذي يواكبه نمو اجتماعي يمكن الفرد من كسب مهارات التعامل والتكيف مع الغير والذي يعد ذكاءً اجتماعيا (Albrecht, 2008, p. 66)، والذي يعكس العلائقي نموه اللغوي المقصود لفهم ما يحيط بالفرد من أشياء جامدة أو حية، اجتماعية أو فيزيقية، مادية أو معنوية نتيجة التنشئة الاجتماعية (Giddens, 2005, pp. 91–105)، حيث تهدف هذه العملية في مجملها إلى تحويل الفرد منذ ولادته البيولوجية من الصفة الحيوانية أي الكائن الخام إلى كائن اجتماعي إنساني يتمتع بالقدرات والمهارات الاجتماعية والإنسانية والفكرية والمعرفية، تمكنه من الفاعل الاجتماعي بكفاءة سواء تفاعلات ايجابياً أو سليباً، من خلال كم هائل من المفردات والكلمات التي تدل على رصيد مفرداتي وكلماتي وتصوري

كبير جدا، من هنا فقد اعتبرت اللغة كظاهرة اجتماعية ثقافية بالدرجة الأولى (Jacob, 2010, p. 84). وهذا وفق نظرية الفعل الاجتماعي؛ التي تجعل من عملية تنشئة الفرد عملية هادفة منذ بدايتها، حيث تقوم بها جماعة اجتماعية لتمكين الفرد من التفاعل مع غيره بدءً من استخدام قدراته الفكرية والذهنية.

٢. التراكيب

من الناحية اللغوية، هي قواعد اللغة بصرفها ونحوها، حيث يعني التركيب هنا بأنه الوصف لتكوين الجمل، وقواعد الإعراب، أما الأول هو تغيير وتحويل الكلمة بأصلها إلى أبنية مختلفة وذات معان مقصودة (Nāṣif, 1995, p. 43). أما من الناحية السوسيولوجية فإنه يرى عنصر التركيب في تمكينه الفرد من القدرة على التعبير عن ذاته في وسط اجتماعي ثقافي معين وتفاعلاته وعلاقاته، بحيث أن لتلك البيئة الاجتماعية والثقافية خصوصية معينة وعاها وتشرب منها ويستقى أفكاره منها، مما جعل فكرة وقدراته التعبيرية في تركيب الجمل في شكل فقرات أدبية أو علمية، نثرية أو شعرية...الخ مرآة ذاك الوسط الذي يعيش فيه (Ṭarbīh, 2011, p. 89). وهنا تكتسب اللغة وظيفة مهمة إضافة على كونها ذات وظيفة التعبيرية تخاطبية حوارية، إذ للغة وظيفة تحويل العالم الحقيقي الذي يعيش فيه الفرد؛ بكل محاسنه ومساوئه، بكل إيجابياته وسلبياته، من خلال تكيفات الفرد معه واندماجه فيه من عدمه؛ إلى عالم الأفكار العالم ذا الطبيعة التجريدي (al-'Aqīlī, 1995, p. 76)، حيث أن هذه العملية أي عملية التنشئة الاجتماعية لها علاقة وطيدة بالتمكين الاجتماعي للفرد بالتفاعل الاجتماعي وبناء الشخصية الفرد معينة، بمعنى أن يعد الفرد نموذجاً تفاعليا اجتماعياً فريداً تتشكل منه سماته النفسية والاجتماعية للفرد في بيئته الاجتماعية كونه الفاعل الاجتماعي للتطور اللغوي والمعرفي للمجتمع من خلال استعمال اللغة وإحداث تغييرات وتحديثات عليها، كونها معطى ثقافي (Ḥasan, 1985, p. 76).

ب. خصائص اللغة سوسيولوجيا

رغم تعدد التعاريف لظاهرة اللغة وتعدد العاملين بها في مجالي البحث الاجتماعي والأنثروبولوجي، وبالتالي اختلافهم في المدخلات والأسس، إلا أنهم اتفقوا حول أهم الخصائص، تم حصرها من طرف المهتمين من علماء سوسيولوجية اللغة أمثال نعوم تشومسكي ولويس جان كانفي، حيث تجعل تلك المميزات من اللغة كائن مرتبط ظاهرياً وضمنيا بالبناء الاجتماعي ولا انفصام لها عنه أبداً لأنها غلاقة وجودية لكل منهما بالدرجة الأولى، وتتمثل تلك الخصائص فيما يلي (Calvet, 2006, p. 83).

١. ذات طبيعة بشرية إنسانية

يتفرد الإنسان بقدرات التفكير والتأمل والتكيف مع محيطه، مما جعل المجتمع الإنساني باختلاف مكانه وزمانه متفرداً في قدرته على بناء نظام مستقر ديناميكي مكون من الرموز الصوتية والعلامات والإشارات، التي تستخدم للدلالة على تصورات ذهنية وأفكار تجريدية شكلها من واقعه الحقيقي، والتي تعبر عن

موجودات حسية في بيئته الاجتماعية بذاتها والأهم تفاعله معها، وبالتالي فاللغة وسيلة تواصل واتصال بين المرسل والمستقبل المتمثل في الفرد وبيئته وما فيها، تترتب عنها علاقات وجودية لهوية اجتماعية ثقافية، وهذا يدل على أن للغة مكونات متكاملة ومترابطة البناء وفي علاقاتها البناء الاجتماعي ذاته الذي لا يمكن فصله أو بتره عن اللغة في ذات الوقت (Ḥasan, 1985, p. 69).

٣. مكتسبة

مكتسبة بمعنى أن الفرد يولد في المجتمع باستعدادات فطرية وقدرات وملاكات خاصة جاهز لتلقي مفاهيم، تصورات، أفكار التي صاغها المجتمع على شكل إشارات ورموز، وبالتالي فإن الإنسان بعد الولادة البيولوجية تبدأ الولادة الاجتماعية بحصوله المتدرج على اللغة من المجتمع الذي ينشأ ويتربى فيه، ويتم اكتسابها من خلال جملة من الخبرات الذاتية الخاصة، التي يمر بها الإنسان سواء بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، لان اللغة ليست وراثية بيولوجية بل وراثية اجتماعية تنقل مرادفاتها ومعانيها من جيل إلى الجيل الذي يليه، مع مواكبة التغيرات الاجتماعية والثقافية التي عادة ما تطرأ على الحياة الاجتماعية فتورد عليها الجديد باستمرار في مختلف المجالات الحياتية (Ṣaḥrāwī, 2009).

٤. خاصية اعتباطية

الاعتباطية ليس الاعتباطية ليس العشوائية بقدر ما تعني عدم اللاتلازم الدائم، بمعنى أنه ليس هناك علاقة طبيعية تلازمية بين الألفاظ المتداولة ودلالات معانيها في جميع اللغات وجميع المجتمعات وجميع الأزمنة بما فيها اللغة العربية باعتبارها أقدم اللغات على هذه البسيطة، بمعنى آخر أن العلاقة بين الدال والمدلول ليست طبيعية، حيث عادة ما تفرض العلاقة الطبيعية أن لكل مدلول الواحد دال واحد في جميع اللغات، لكن الأمر غير ذلك حيث أن قد تجد لدال الواحد مدلولات عدة أدركها الفرد من خلال تعايشه في البيئة الاجتماعية الواقعية متغيرة باستمرار في جزئياتها لكن ثابتة في أسسها، وهذا يدل على أن اللغة معطى أساسي للهوية الاجتماعية مستقر في المجتمع وما اتفقت الجماعة اللغوية عليه (Van Gennep, 1908).

٥. أساسا لتنظيم الحياة الاجتماعية

تعد الحياة الاجتماعية وفق علماء الاجتماع هي تركيبة معقدة من العناصر المختلفة الأصول والمرتبطة بعضها ببعض ارتباطاً وجودياً وظيفياً وثيقاً يمكن الكل من البقاء كوحدة واحدة من ناحية ومن ناحية ثانية؛ وبقاء الوحدات على نحو ديناميكي، حيث أن أحد مكونات تلك الحياة على اللغة (Ṭarbīh, 2011, p. 89). وبالتالي تُمكن اللغة أفراد الجماعة من سلاسة التخاطب والحوار وتبادل المنافع وإشباع الحاجات نتيجة التواجد المشترك ينهم، حيث أنه باستعمال اللغة، يتم وضع حلقة تواصل للتفاهم بين أفراد الجماعة

وترتيب الأمور الحياتية لهم وقضاياها بين الضروريات للحياة الاجتماعية والحياة الشخصية؛ من ناحية ومن ناحية ثانية؛ بين الضروريات والثانويات أو الهامشيات لها، حيث عادة ما تصبح تلك الترتيبات في الحاجات مصدر للنشاط الحياتي والسلوك اليومي لهم تتجسد في عمليات الاتصال والتفاعل الاجتماعيين، ومن تصبح اللغة قوة لترتيب البدائل المتاحة في تنظيم حياتي لكل فرد في بيئته الاجتماعية الصغيرة وبالتالي السعي المشترك لحياتهم الجماعية (Joseph, 2007, p. 246).

٦. أساس تنسيق العلاقات الاجتماعية

تضمن الحياة الاجتماعية وتنوع شبكة من العلاقات الاجتماعية بين الفاعلين وأدوارهم ومكاناتهم الاجتماعية، التي لا يمكن أن تنفصل عن الحياة الاجتماعية لأن بقاءها واستقرارها مرهون بتلك الأدوار وعلاقتها بعضها ببعض وبالقائمين بها، التي يجب تنسيق بين أنماطها، التي تتشكل عند الفرد نتيجة تواصله وتفاعله مع غيره في حلاقات تفاعلية مختلفة المدى التأثيري، حيث أن تلك التفاعلات تحدث من خلال قوة الرموز والإشارات المستعملة من طرفين المتفاعلين (Ḥasan, 1985, p. 91). وبالتالي فإن دور اللغة في هذا السياق السوسيولوجي يكمن في تنسيق بين علاقات تلك الشبكة، حيث ليس نفس الرموز والإشارات تستخدم في جميع أنماط العلاقات الاجتماعية التي تختلف في درجة القرب والحميمية، العواطف...الخ، مما يجعل الكلمات المتداولة في الحوار في ثنايا مختلف العلاقات الاجتماعية تختلف نوعاً وقوة (Boutet, 1997, pp. 197–203).

ج. أساس اللغة وارتباطها بالمجتمع

تعد اللغة عموماً واللغة العربية على الخصوص أنها نتاج عقلي جمعي إنساني، باعتبارها ظاهرة اجتماعية تبدأ من المجتمع تتطور في ثناياه ومن خلال فاعليه، هذا يعني أن اللغة مرتبطة بالمجتمع ارتباطاً بناءً ووظيفياً عميق لا انفصال بينهما، وذلك بالرجوع إلى ثلاث أسس هي أسلوب التفكير، نمط بناء الشخصية الإنسانية وأخيراً الثروة الفكرية والشيء المهم؛ أنها أسس تجعل من اللغة قاعدة الحياة الاجتماعية المشتركة لها منابع واقعية وأخرى تجريدية في ذات الوقت ومتفاعلة فيما بينها، حيث أن كما يعبر عالم الأفكار والتصورات عن الواقع الحقيقي بكل مكوناته المختلفة فإنه يثريه بالتفسيرات المنطقية وغير المنطقية الوجدانية مثلا، في المقابل، الواقع الحقيقي المادي والمعنوي يقبل التجديدات في المعرفية والفكرية ويستوعبها لجعلها حقيقة معاشة تتطور من خللها الحياة الاجتماعية، لكن رغم اختلافها الجوهري إلا أنها مرتبطة بعضها ببعض ارتباط اللغة والمجتمع (al-'Aqīlī, 1995, p. 76).

١. أسلوب التفكير

يعد أسلوب التفكير هو طريقة لفهم المحيط الاجتماعي بكل مكوناته وربط تلك المكونات بعضها ببعض، بحيث يمد الفرد بطريقة للعيش فيه (Ṭarbīh, 2011, p. 45). وبالتالي فإن الأسلوب التفكيري يستجيب

ويتكيف مع كل متطلبات الفرد والحياة الاجتماعية، حيث أنه بناءً على تلك الطريقة في التفكير (al-Jarjāwī, 2013, pp. 36–65).

يصدر عن الفرد جملة من السلوكات والأفعال وأحكام القيمة مكونات الحياة الاجتماعية، وفيما سيتخذه من قرارات قبل أن يخطو نحو تحقيق هدف ما، لأجل ذلك فإنه يعتمد على طريقة ما، كما أن الرد من خلال الطريقة التفكير يتم توظيف الإشارات والرموز التي تأخذ شكل معلومات وخبرات المتوفرة لديه من أجل التعامل مع ظروف الحياة الاجتماعية وتقلباتها المستمرة وكيفية معالجة مشكلاته الحياتية والبحث عن حل لها حيث أنه عادة ما يعتمد الفرد على عمليتي الاستقراء أو الاستنباط أي الاستنتاج في فهم ما يحدث من تفاعلات في بيئته وحياته الاجتماعية وإنشاء العلاقات بين معطيات العالم التجريدي والعالم الواعي (al-Quṭāmī & al-Rifāʻī, 2001, p. 62).

٢. نمط بناء الشخصية الإنسانية وتثقيفها

تعد عملية التنشئة الاجتماعية جوهر بناء الشخصية الإنسانية وتثقيفها من خلال استعمال الإشارات والرموز أي اللغة كوسيلة أساسية للمجتمع (Ḥammāsh, 2007, pp. 62–68)، حيث يكسب الفرد في المقابل جملة من القدرات أهمها القدرة على التحكم بذاته وضبطها، ومحاولة استيعاب ردود الفعل الآخرين والاستجابات ذاتية أو موضوعية مرتبطة بمعطيات ذات علاقة بالبيئة الاجتماعية التي يعيشون بها الفرد ذاته، إضافة إلى قدرة تقبل النقد وتقبل وجهات نظرهم المخالفة لما يعيدون إنتاجه فكرياً وسلوكياً في مختلف المواقف الاجتماعية (Manṣūr, 2013, p. 187)، إضافة إلى القدرة على القراءة والمطالعة والاطلاع على ثقافات الشعوب الأخرى، والحرص على تثقيف الفرد في كافة مجالات الحياة الدينية، والاجتماعية، والأدبية، للجعل الفرد له درجة مقبولة من الاندماج الاجتماعين والتوافق النفسي والتكيف مع مكونات البيئة الاجتماعية والتغيرات التي تطرأ عليها (Bally, , 1977, p. 135). أما أخر قدرة هي القدرة على تعلم الفرد من أخطائه خاصة، إذا كان يتعلم شيئا جديداً بشكل مستمر لأن الجميع معرض للوقوع في الأخطاء بشكل مستمر، وبالتالي فإن التعلم منها يزرع في الشخص الكثير من القيم التي تربط الفرد بواقع الاجتماعي أهمها حب الإنجاز والتقدم وتصويب الذات والمعارف، ويعزز شعور التنافس لديه لمعرفة المزيد وتعلمه، ومن ثم يتكامل بناء الشخصية كما تأخذ الشخصية طبيعة معينة (Michel, 1993, p. 55).

٣. أساس الثروة الفكرية

تعد المعرفة الإنسانية معرفة نتجت عن تجاب الإنسان العامة والخاصة بحثه لأجل فهم ما يحيط به من حقائق تحتاج إلى الفم والتفسير ومن ثم التوظيف والاستخدام (جويدة حماش، ٢٠٠٧، : ٦٢-٦٨) في تيسير الحياة الاجتماعية، حيث تعد اللغة وسيلة الأفراد والجماعات في البحث وتقصي عن الحقائق الاجتماعية وغير الاجتماعية، المادية والمعنوية (Ḥammāsh, 2007, pp. 62–68). وبالتالي فاللغة هي أسلوب إحداث

التراكم المعرفي، حيث يستخدمها الإنسان للتعبير عما يحسه، يدركه، يعيه ويفكر فيه ويفهم لما هو موجود في الواقع الذي يعيش فيه ويتفاعل معه، وبالتالي يشكل رصيد وزخم معرفي من المفاهيم المتغيرة ووضعها في سياقها المناسب من خلال النقاش الصريح والنقد البناء (ندري جاكوب، ٢٠١٠، : ٧٢) دون اعتراض أو تهجم حيث الغرض للوصول تكوين معرفة منسجمة ومتناغمة وواقعية وفي الختام متكاملة ومثالية الحلول التي تخدم كل الأطراف في المجتمع في نهاية المطاف (Jacob, 2010, p. 72). ومن ثم فإن اللغة ظاهرة اجتماعية متغيرة البناء والدور، حيث أن أفكار الفرد تموت وتضمحل كونها حبيسة عقله، وبالتالي الثروة الفكرية أساس اللغة فقط لأنها تستجيب لتغيرات المجتمع والقوة الفاعلة المجتمع لجعلها تواكب التجديدات التي تصيب العالم المادي (Hudson, 1990, p. 17).

د. الأبعاد الاجتماعية للغة

انطلاقا من تحليل أفرام نعوم تْشُومِسْكِي للغة على اعتبار انها واحدة من خصائص النوع الإنساني في مكوناته الأساسية، فاللغة تدخل بطريقة جوهرية وسلسة في كل من الفكر والفعل إنساني له غاية مجتمعية أو إنسانية تتجاوز وجود الفرد ومتطلباته الذاتية، ومن ثم تتشكل شبكة من العلاقات الاجتماعية التي تعد أحد مكونات البناء الاجتماعي والإنساني، وبالتالي فإنه، وفق علماء سوسيولوجية اللغة فالمجتمع بأنه مجموعة من الأشخاص الأحياء يفكرون ويتفاعلون ومكتفون بذاتهم، ومستمرّون في البقاء من خلال تبادل الإشباعات والمنافع الخاصة والعامة من خلال وجود طريق التواصل والتخاطب والحوار (Manṣūr, 2013, p. 187). ومن ثم فهم حاجات بعضهم البعض وكيفية الإشباع التي تناسب كل فرد أو جماعة اجتماعية ومعرفة الكيفية المناسبة لكل الأطراف في العلاقة الاجتماعية أو التفاعل الاجتماعي، ومن هنا فإن علاقة اللغة بأبعاد المجتمع تعكس البعد السوسيولوجي هو يرتبط المصالح المشتركة بين مختلف الفاعلين في المجتمع والتي تشير في ذات الوقت إلى أنماط متميز من السلوك يختص بها جماعات بعينها نظرا لاشتراكهم في نفس المنطق أو البناء التصوري (Russell, 1987, p. 123)، وعليه فإن أبعاد المجتمع الأساسية لا يمكن استغنائه أي واحد منها عن اللغة، كما لا يمكن سلخها من جوهرها أي اللغة في آن واحد، فهي أجزاء مكونة لوحدة واحدة، وهذه الأبعاد هي البعد القيمي والإعتقادي، الاجتماعي، الاقتصادي، السياسي وأخيراً البعد التقني أو الفني أو الأدائي وهي أبعاد لا تنسلخ عن اللغة وجودا ووظيفةً (Joseph, 2007, p. 342).

١. البعد القيمي والاعتقادي

تعرف القيم والمعتقدات هي جملة الأفكار التي يستخدمها الأفراد لقيِّم أفعالهم وسلوكاتهم لشرح أفكارهم وأفعالهم المختلفة تتميز بالانسجام والتناقض أحيانا، والتي يتم تحديد ما ينفع المجتمع وما يضره وبالتالي هي محط اتفاق واختلاف جميع أفراد المجتمع الواحد، حيث أن من أهم وظائفها ضابط للسلوك البشري الصحيح أو السليم (Ṭarbīh, 2011, p. 89). وبالتالي فإن القيم الاجتماعيّة هي الخصائص

أو الصفات المحببة والمرغوب فيها لدى أفراد المجتمع، والتي تحددها ثقافته مثل التسامح والقوة، وهنا يلاحظ تدخل لغة المجتمع التعبير عن التقييمات للقيم وانطباعها على السلوك الذي يصدر عن الفرد في جماعاته وطبيعة العلاقات التي تتبلور بينه وبين بقية الأفراد، وبالتالي فإن اللغة لا تغيب عن الواقع الاجتماعي للحياة كونها توضح سُبُل تعزيز القيم والمعتقدات وبنائها عند الأبناء لتمكين هؤلاء القدرة من الاندماج مع المجتمع والتكيف مع أوضاعه، بالشكل الذي يجعلها قابلة لمواكبة التغيرات الاجتماعية، وفي ذات الوقت تحافظ على الخصوصية التميز (Boutet, 1997, p. 66).

٢. البعد الاجتماعي

يشمل أساليب سلوكي والتصرفات للأفراد مع بعضهم البعض في إطار عملية التفاعل الاجتماعي وطرق التجمع الإنساني (Russell, 1987, pp. 93). وهذه الأخيرة التي تفرز أحد أشكال السلوك الذي يصدر عن الفرد في علاقته بالآخرين المتمثلة في التعاون، التنافس، الصراع، التكيف والاندماج وكلها مظاهر تتجلى في مختلف المواقف الاجتماعية التي تتخلل الحياة الاجتماعية، حيث أن كل عملية من تلك العمليات أو تصرف من تلك التصرفات يتطلب مضامين لغوية معينة كالإشارات والرموز والمفردات يستخدمها الأفراد للتعبير عن العواطف والمشاعر والأحاسيس الفردية أو الجماعية المؤيدة أو الرافضة أو الانسحابية لما يحدث من تفاعلات أو يقدم من أراء وأفكار، كما قد تكون ايجابية نفعية أو سلبية ضارة لفرد أو الجماعة أو لكيهما، وهي مضامين يحملها الفرد في وعيه ويكشف عنها من خلال سلوكاته وتفاعلاته وعلاقاته (Ṭarbīh, 2011, p. 89).

٣. البعد الاقتصادي

ما يملكه المجتمع من وسائل إنتاج وطرق الإنتاج المختلفة التي تتكيف مع طبيعة المواد الأولية الخام ونوع المنتج المرد الحصول عليه لتقديمه للمستهلك في مجتمعه، حيث يحدد الفرد تلك الوسائل والطرق ويعبر عنها بإشارات ورموز خاصة تتماشي وطبيعة المجال والسلوك الذي يتم في ثناياه ويجعله مجالاً مغايراً عن غيره في الحياة الاجتماعية، حيث أنه بناءً على مناطق جغرافية واسعة التي يسكنها الفاعل الاجتماعي، تتحدد ثقافته الاستهلاكية أو ثقافته الإنتاجية (Bally, 1977, p. 88). وعليه فإنه يتوجب تحديد طرائق للتوزيع السلع والمنتجات التي يطلبها الفرد في مجتمعه تتناسب ومنتج وظروف المستهلك، وهنا نجد اللغة بإشارتها ورموزها تعزز وجود البعد الاقتصادي بتعابير تتماشي مع نوع النشاط الممارس في هذا المجال (Gurvitch, 1966, p. 59).

٤. البعد السياسي

يتمحور البعد السياسي حول مواطنة الفرد في مجتمعه بضمان حقوقه وإلزامه بواجباته في علاقة الفرد بالفرد والفرد بالمجتمع والدولة، وذلك من خلال نظام يؤسس على اتخاذ القرار وتوزيع القوى السياسية

المؤثرة في أفراده وجماعاته وتنظيماته، حيث يؤسس ذاك النظام على مجموعة من الممارسات والسلوكيات المقنّنة التي تلعب دوراً هاماً في تنظيم عمل القوى السياسية في المجتمع الواحد وفق لوائحه القانونية والقواعد التنظيمية، حيث تلك اللوائح والقوانين تختلف من نظام اجتماعي سياسي لأخر، التي تعمل به الدولة لضبط حقوق وواجبات كل فرد وجماعة وتنظيم في الدولة لتحقيق الرفاهية الاجتماعية والأمن الاجتماعي لكل أولئك داخل الدولة وخارجها، هذا يعني أن لكل نظام سياسي رموزه وتصوراته ومفاهيمه وأفكاره التي يستعملها أصحاب القرار السياسي في الخطابات السياسية الداخلية والخارجية (al-Suwaydī, 1987, p. 84–99).

٥. البع التقني أو الفني أو الأدائي

ويضم هذا البعد كل ما يمتلكه المجتمع من أدوات ووسائل مادية بسيطة أو معقدة، وأساليب وطرائق تقليدية أو حديثة، قدرات ومهارات يتعامل فاعليه الاجتماعيين أفراداً، جماعات، مؤسسات، وتنظيمات من خلالها مع بعضهم البعض داخل المجتمع الواحد (Giddens, 2005, pp. 269–277). ومن ثم تعتبر اللغة احد أدوات البعد التقني للمجتمع، حيث تعد اللغة بما تحمله من رموز وإشارات ودلالات تصورية طريقة في خلقة حلقة التفاهم بين مستخدمي بقية التقنيات أو الفنيات لتبسيط التخاطب وأسلوب التفكير لأجل تحديث المجتمع وتغييره نحو الأفضل، وبذلك فإن اللغة تعكس المهارات التي تستخدم الفرد في الحياة العملية التي بموجبها يقوم شخص بنقل أفكار، معاني ومعلومات التي التغيير والتطوير والتفاعل بين الأفراد والجماعات (Jacob, 2010, p. 72).

٦. وظائف الاجتماعية للغة

باعتبار اللغة أحد المكونات التي تتخلل المكونات الأساسية للبناء الاجتماعي وتمنحهم القوة الترابطية الوجودية، وعليه فإنها كسبت جملة من الوظائف ذات البعد الاجتماعي، أهمها ما اتفق عليه معظم العلماء العاملين في مجالي سوسيولوجية اللغة وانثروبولوجية اللغة، والمتمثلة في أهم وظائفها بهدف تأكيد قوة العلاقة بين اللغة والمجتمع من منطلق تحديد الوظائف، وقد حدد الباحثين أكثر الوظائف التي اختلفت أهم الوظائف التي تقوم بها اللغة اتجاه المجتمع وهي كالآتي (Boutet, 1997, p. 197–203).

أ) الوظيفية التعبيرية؛ تمكن الوظيفة التعبير للغة الفرد من استخدام الرصيد المعرفي الذي يشمل أفكار الفرد، تصوراته في جمل وعبارات أثناء الحوار والاتصال الذي يحصل بينه وبين بقية أفراد المجتمع، للتعبير عما يجول بخاطره وعما يختلج ذاته بتفعيل سائر العمليات العقلية البسيطة المتمثلة في الانتباه، التفكير والإدراك الحسي، والمركبة كحل المشكلات، اتخاذ القرارات والتفكير الناقد والإبداعي والتي يريد الإنسان التعبير من خلالها (Mizyānī, 2017).

ب) الوظيفية التواصلية والاتصالية؛ تتمثل هذه الوظيفة في دور اللغة في التبليغ عن المعلومات المتوصل لها عبر البحث وتطور الحياة في بعض جوانبها وتعبير عنها وتبادلها بين الأفراد، لهذا أكد

جقونز أن أنشئت اللغة كانت بغرض استعمالها في الاتصال الاجتماعي والتواصل الإنساني بالمقام الأول (al-Saʻrān, 1963, p. 14). من هذا المنطلق فقد حددت وظائف اللغة في كون هذه الأخيرة وسيلة للتفاهم، أداة للتفكير وأخيراً أداة لتسجيل الأفكار، وهنا يحدث التراكم المعرفي وبالتالي فهي الدور العميق للغة يتمثل في الاحتفاظ بالتراث الثقافي الاجتماعية، وضمان نقله من جيل إلى أخر، ومن ثم تساعد الفرد على تكيف وضبط سلوكه مع المجتمع (al-Jarjāwī, 2013, p. 36–65).

ج) الوظيفية النفعية؛ تسمح هذه الوظيفة للفرد بإشباع حاجاته الأساسية داخل المجتمع الموجود فيه، من خلال تمكينه وتنمية قدراته ومهاراته الإنسانية والاجتماعية حيث أن أهم حاجة للإنسان على الإطلاق سواء للفرد ذاته أو لحياة الجماعة والمجتمع تتمثل في قدرة الفرد على الاندماج في جماعة والتكيف مع ظروفها واستجابة لمتطلباتها لجعله إنساناً اجتماعياً بكل المعايير (Ṭarbīh, 2011, p. 89). ولا يكون ذلك إلا بكسبه خلاصة تلك لمهارات والمتمثل في الذكاء الاجتماعي المستند على طريقة توظيف الجمل والعبارات المناسبة في المواقف المناسبة، التي تمكنه من التفاعل وتشكيل العلاقات الاجتماعية (Albrecht, 2008, p. 66).

د) الوظيفية التنظيمية؛ يشير التنظيم إلى ترتيب العناصر وتدبيرها بطريقة معينة، تمكن حاوي تلك العناصر من التفاعل بمهارة وتمكين عالي، ومن هنا فإن وظيفة اللغة تمكن اللغة الفرد باعتباره حاوي تجريدي للمفردات، الإشارات والرموز من التفاعل بذكاء وفطنة مع الأخر في جماعته الاجتماعية باعتبار هذه الأخيرة من حاوية اجتماعي لأفراد التفاعل الاجتماعي، كما تمكنه من التحكم في سلوكه وتوجيه سلوك الآخرين في تفاعله معهم والحكم عليها وتصنيفها، من خلال استخدامه للغة ليجسد الفرد قدرته على التعايش في مجتمعه وتأقلم مع أفراده فيه (Ṭarbīh, 2011, p. 89). وبالتالي يتجسد الفعل التنظيمي للحياة من خلال تحديد دوائر العلاقات الاجتماعية والسلوكات التي تواكبها حسب اختلاف الجماعات الاجتماعية التي ينتمي لها، حيث تفيد هذه الوظيفة في ترتيب الأولويات الحياتية للفرد في جماعته (Albrecht, 2008, p. 66).

هـ) ترسيخ الهوية؛ تشير الهوية إلى مجموع المكونات الشخصية والإنسانية الدالة على انتماء الأفراد لمجتمعهم، وبالتالي فإنها تعكس ارتباط الفرد بالجماعة في المقابل حماية هذه الأخيرة له حقوقاً ووجبات، حيث أمن أكبر عناصر المجتمع والثقافة تحديداً للهوية هي اللغة (ʻImād, 2007, pp. 66–91). وبالتالي فاللغة هي أحد ثوابت الهوية المجتمعية حيث أسهت هذه الأخيرة في بناء اللغة، ومن هنا فإن الهوية قضية لغوية متغلغلة في جذورها، وبالتالي فإن اللغة وسيلة المجتمعات في المحافظة على الهوية المجتمعية كونها وسيلة المجتمع في نقل التراث الثقافي عبر الأجيال؛ من ناحية ومن ناحية ثانية؛ اللغة هي انعكاس للثقافة التي يصنعها ويستعملها الأفراد في المجتمع (Ṣadār, 2001, p. 7).

الخاتمة

ختاما لما تقديمه وعرضه بالتحليل ولمناقشة لظاهرة اللغة من بعديها الثقافي والاجتماعي وبالمرجعية المعرفية السوسيو- انثروبولوجي، فقد توصلت هذه الدراسة السوسيولوجية الموالية "اللغة العربية ومتطلبات تدريسها الاجتماعية والثقافية" على مستوى ثلاث أبعاد ابستمولوجية هي السوسيولوجية اللغة وانثروبولوجية اللغة وسوسيولوجية التعليم إلى نتائج الموالية: (١) لأجل تعلم اللغة والعربية على وجه الخصوص يستوجب اطلاع المتعلم على البناء ثقافي للمجتمع العربي وبناءها الرمزي، ودلالات التمايز بين الدال والمدلول؛ (٢) ضرورة ربط الدلالات اللغوية للغة العربية بالدلالات الثقافية الاجتماعية التي نشأت في ثناياها نشأة تطورية مرت على مراحل، حيث أن كل مرحلة أضافت الجديد اللغوي الدال على لتغير الثقافي للمجتمع العربي؛ (٣) ضرورة ربط تعلم اللغة العربية بتاريخها التطوري الثقافي والاجتماعي ومراحل تطورها وانتشاره سعةً وزماناً؛ (٤) ضرورة ربط الدراسات اللغوية للغة العربية بالدراسات سوسيولوجية اللغة وانثروبولوجية اللغة، حيث أن بناءهم المعرفي الابستيمولوجي يلقي الضوء على كثير من مناطق العتمة المعرفية النابع من الاختلافات الجوهرية بين البناءات الثقافية والاجتماعية للشعوب.

المراجع

Achard, P. (1993) *La Sociologie du langage*. Paris: Presses Universitaires de France.

Albrecht, K. (2008). *al-Dhukā' al-ijtimā'ī*. Jordan: Maktabat Jarīr.

al-'Aqīlī, Ṣ. S. (1995). *'Ilm al-ijtimā' al-lughawī*. Cairo: Dār al-Fikr al-'Arabī.

Bally, C. (1977). *Le langage et la vie* (3ème éd. Augm). Geneve: Droz.

Bourdieu, P. (2001). *Langage et pouvoir symbolique*. Paris: Seuil.

Boutet, J. (1977). *Langage et Société*. Paris: Seuil.

Calvet, L-J. (2006). *'Ilm al-ijtimā' al-lughawī* (M. Yaḥyātin, Trans.). Algeria: Dār al-Qiṣṣah.

Chomsky, N. (1990). *al-Lughah wa-mushkilāt ma'rifīyah* (Ḥ. al-Mazīnī, Trans.). Cassablanca, Morocco: Dār Tūbqāl.

Giddens, A. (2005). *'Ilm al-Ijtimā'* (F. al-Ṣabāgh, Trans.). Beirut: al-Munaẓẓamah al-'Arabīyah li-al-Tarjamah.

Gurvitch, G. (1966). *Les cadres sociaux de la connaissance*. Paris: Presses Universitaires de France.

Ḥammāsh, J. (2007). B*inā' al-shakhṣīyah fī ḥikāyat 'Abdū wa-al-jamājim wa-al-jabal li-Muṣṭafá Fāsī: Muqārabah fī al-sardīyāt*. Algeria: Manshūrāt al-Ūrās.

Ḥasan, I. M. (1985). *al-Binā' al-ijtimā'ī wa-al-ṭabaqah*. Beirut: Dār al-Ṭalī'ah.

Hudson, D. (1990). *'Ilm al-lughah al-ijtimā'ī* (M. 'Iyād, Trans.). Cairo : 'Ālam al-Kutub.

Ibn Manẓūr. (2005). *Lisān al-'Arab*. Tunisia: Dār al-Mutawassiṭīyah.

'Imād, 'A. G. (2017). *Sūsiyūlūjīyat al-huwīyah: Jadaliyat al-wa'y wa-al-tafkīk wa-i'ādat al-binā*. Beirut: Markaz al-Dirāsāt al-Waḥdah al-'Arabīyah.

Jacob, A. (2010). *Anthrūbūlūjiyā al-lughah: Binā' wa-tarmīz* (L. al-Sharbīnī, Trans.). Cairo: al-Markaz al-Qawmī al-'Arabī.

Joseph, J. (2007). *al-Lughah wa-al-huwīyah* ('A. al-Nūr Kharāqī, Trans.). Kuwait: 'Ālam al-Ma'rifah.

al-Jarjāwī, Z. (2013). *Asālīb al-tafkīr al-insānī wa-qaḍāyā al-tarbawīyah*. Cairo: Dār al-Fajr.

Lafont, R. (2004). *L'etre de langage: Pour une anthropologie linguistique*. Limoges: Lambert-Lucas.

Manṣūr, Ḥ. ʻA. R. (2013). *Binā' al-insān bayn al-naẓar wa-al-ʻamal*. Amman: Dār Amwāj.

Michel, A. (1993). al-Huwīyah (ʻA. Waṭifah, Trans.) Damascus: Dār Maʻd.

Mizyānī, Ṣ. (July 14, 2017). ʻAlāqat al-lughah bi-al-mujtamaʻ, wa-ishkālīyat al-tawāṣul al-lughawī fī al-mujtamaʻ. *al-Markaz al-Dīmuqrāṭī al-ʻArabī*. Retrieved from https://democraticac.de/?p=47670

Muʻādh, M. M. F. (2011). *al-Anthrūbūlūjiyā al-lughawīyah*. Alexandria: Dār al-Maʻrifah al-Jāmiʻīyah.

Nāṣif, M. (1995). *al-Lughah wa-al-tafsīr wa-al-tawāṣul*. Kuwait: Silsilat ʻĀlam al-Maʻrifah.

al-Quṭāmī, N., & al-Rifāʻī, ʻA. (2001). *Numuww al-ṭifl wa-riʻāyatuh*. Amman: Dār al-Shurūq.

Russell, B. (1987). *Usus iʻādat al-binā' al-ijtimāʻī* (I. Y. al-Najjār, Trans.). Beirut: al-Mu'assasah al-Jāmiʻīyah li-al-Dirāsāt.

Ṣadār, N. (n.d). *Dawr al-lughah al-ʻArabīyah fi al-ḥifāẓ ʻalá muqawwamāt al-huwīyah al-qawmīyah wa-kasb rahānāt wa-taḥaddiyāt al-ʻawlamah*.

Ṣaḥrāwī, ʻI. (2009). al-Lughah al-ʻArabīyah fī al-Jazā'ir: al-Tārīkh wa-al-huwīyah. *Majallat Kullīyat al-Ādāb wa-al-ʻUlūm al-Insānīyah, 5*. Retrieved from http://fll.univ-biskra.dz/images/pdf_revue/pdf_revue_05/sahraoui%20azzeddine.pdf

Shatā, ʻA. S. (1998). *ʻIlm al-ijtimāʻ al-lughawī*. Alexandria: Mu'assasat Shabāb al-Jāmiʻah.

al-Saʻrān, M. (1963). *Al-Lughah wa-al-mujtamaʻ: Ra'y wa-manhaj*. Alexandria: Dār al-Maʻārif.

al-Suwaydī, M. (1987). *ʻIlm al-ijtimāʻ al-siyāsī: Maydānuh wa-qaḍāyāh.* Algeria: Dīwān al-Maṭbūʻāt al-Jāmiʻīyah.

Ṭarbīh, M. (2011). *ʻIlm al-ijtimāʻ fī al-ḥayāt al-yawmīyah*. Beirut: Dār al-Maʻārif.

al-Ṭā'ī, Ḥ. ʻU. (2009). Nash'at al-lughah wa-ahammiyātuhā. *Majallat Dirāsāt Tarbawīyah, 2*(6), 195–220. Retrieved from https://www.iasj.net/iasj?func=article&aId=55672

Van Gennep, A. (1968). *Essai d'une théorie des langues spéciales*. Paris: Paulet Cahen, Republications Paulet.